بسم الله الرحمن الرحيم

إن المتأمل في الأمم، يظهر له أن الأمة القوية الغالبة، تتبعها الأمم الضعيفة المقهورة، وأفرادُ المجتمعات المغلوبة، تعيش كامل التبعية والتقليد، للمجتمعات الغالبة في شعائرهم وعاداتهم، وتلك سنة تظهر لمن قرأ التاريخ.

وإن المتأمل في واقع المسلمين اليوم، ويلاحظ أن عامة المسلمين أصبحوا يعيشون التبعيةَ والتقليد للغرب، يعيشون ذلك إما عن قصد ووعي، وإما عن جهل وضلال.

وسبب هذه التبعية، ضعف الإيمان في قلوب من ينتسبون للإسلام، سبب ذلك، التقليد الأعمى للغرب واتِّباعهم في كل ما يفعلونه وما يعيشون عليه .

سبب هذه التبعية، أننا ضيقنا مفهوم الدين وحصرناه واختزلناه في عبادات وشعائر تؤدى أداءً شكلياً.

ولعلَّ أخطر ما في هذه القضية، إضافةً إلى اقتراف ما نهى الله تعالى عنه، التأثيراتُ النفسية على قومٍ فعل فيهم الغزوُ الفكري فعلَه، فهانتْ عليهم شخصيتُهم وانتماؤُهم، وفرّطوا في تميُّزهم العَقدي، فما عادوا يعتزون بالإسلام، بل صاروا يبتغون العزة في غيره!

وهذا الذي يحصل، وهذا الذي تعيشه الأمة من التبعية والتقليد، أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم بأنه سيقع لا محالة في الأمة، فعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بَاعًا بِبَاعٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، وَشِبْرًا بِشِبْرٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمْ مَعَهُمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: فَمَنْ؟)).

وقد وقع ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم، وانتشر فيما بين المسلمين، فاتبعوا غيرَهم في كثير من عاداتهم وسلوكياتهم وقلدوهم في شعائرهم واحتفلوا بأعيادهم التي لا تمت للأمة الإسلامية بأية صلة لا عقديا ولا أخلاقياً. لقد لعبت الأهواء بهؤلاء القوم وساقتهم حيث تشاء، فزاغوا عن طريق الحق، وانحرفوا عن أخلاق دينهم وقيمهم.

فأين عزة الإسلام والهوية الإسلامية؟ أين ما ينبغي أن يتربى عليه أطفال المسلمين وشبابُهم؟ إن عزة هذه الأمة، وكرامة هذه الأمة، ورفعة هذه الأمةِ بدينها، فلا عزة ولا كرامة ولا رفعة إلا بالدين وفي الدين الذي ارتضاه الله لعباده الصالحين، وصدق رب العزة جل جلاله إذ قال: {ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون} [المنافقون:]

فما بال أقوام تركوا ما فيه عزّهم ورفعتهم ويولون وجوههم شطر الذين حادوا عن الطريق المستقيم! على المسلم ألا يكون إمّعة، لا رأي له ولا عزم، يقلد غيره تقليدا أعمى، ويقول أنا مع الناس، بل عليه أن يوطن نفسه، بحيث إن أحسن الناس أحسن، وإن أساؤوا اجتنب إساءاتهم، ويحرصَ على الاستقامة عليها، ولا يجاري المنحرفين في انحرافهم ولا الضالين في ضلالهم...

ثم عليه أن يدرك ويستيقن أن ما يُرتكب في تلكم الليلة من المنكرات والموبقات يتبرأ منها ومن مقترفيها عيسى بن مريم عليه السلام الذي تتم باسم ميلاده تلكم الاحتفالات التي تغضب الرحمن وترضي الشيطان ، وللعلم الاحتفال بعيد ميلاد المسيح لا أصل له لا في الإسلام ولا في النصرانية نفسها، وإنما أدخله الوثنيون الرومان إلى النصرانية لما تنصروا في القرن الرابع الميلادي، واستبدلوا به الاحتفال بإله الشمس الذي كانوا يقيمونه في الخامس والعشرين من ديسمبر، باعتباره اليوم الذي يبدأ فيه طول النهار ، و يومَ احتفال الصينيين كذلك بميلاد ربهم (جانغ تي)، ويومَ احتفال قدماء الفرس بميلاد إلههم (ميثرا)، ويومَ احتفال الهندوس بميلاد إلههم (كريشنا) ، والأمر نفسه بالنسبة للكلدانيين، والليتوانيين، والروس القدامى، وعند اليونان وغيرهم، فكيف اتفقوا كلهم على يوم واحد؟

وقد ذهب ابن رشد إلى منع شراء اللعب التي تدل على تعظيم دين النصارى، كشجرة رأس السنة، ومجسم البابا نويل، فضلا عما فيه تصاليب، فقال: (لا يحل عمل شيء من هذه الصور، ولا يجوز بيعها ولا التجارة بها)، لأن هذا اليوم هو يوم كذب على الله وشتيمة تصدر من بعض خلقه :{وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ} [التوبة: 30]، وقد صح عن نبينا صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((قَالَ اللهُ: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَزَعَمَ أَنِّي لاَ أَقْدِرُ أَنْ أُعِيدَهُ كَمَا كَانَ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ، فَقَوْلُهُ لِي وَلَدٌ، فَسُبْحَانِي أَنْ أَتَّخِذَ صَاحِبَةً أَوْ وَلَدًا)).

بعض الناس يتوهَّم أن رأس السنة ما هو إلا مجرد احتفال كل عام بمناسبة انتهاء السنة الميلادية، وأنه مُباح؛ كالاحتفال بالعُرس وبالتخرُّج وبالنجاح وما شابه، وهذا غير سليم؛ إذ فرْق بين الاحتفال لأمر عارِض وبين تَكرُّر الاحتفال لِحَدَث متكرر؛ فتكرُّر الاحتفال بحدَثٍ داخلٌ في مسمَّى العيد.

وفرق بين التهنئة والمشاركة في الاحتفال فمشاركتهم في الاحتفال وطقوسه مما حرمه الشارع، أما تهنئتهم فجائزة من باب البر والإحسان إليهم...

وهذا رأي الشيخ القرضاوي رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين ورأي نائبه الشيخ العلامة عبد الله بن بيه وهو المفتى به لدى المجلس الأوربي للبحوث والإفتاء وهو فتوى الأزهر الشريف، وقال به الامام محمد رشيد رضا والعلامة مصطفى الزرقا وهو منقول عن شيخ الإسلام ابن تيمة إن كان فيه مصلحة ذكره الامام المرداوي في الانصاف وذكره الامام البعلي في اختيارات ابن تيمية أن الامام أحمد قال بالجواز والتحريم والكراهة فاختار ابن تيمية الجواز وقال بجواز تهنئتهم وعيادتهم وزيارتهم.

أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم